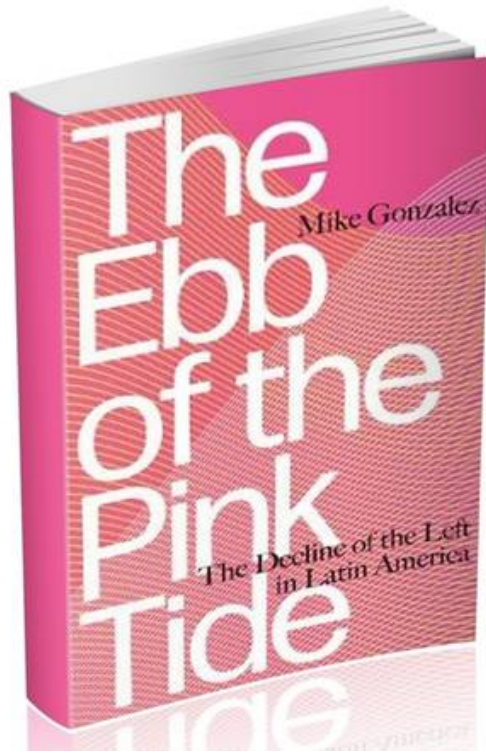
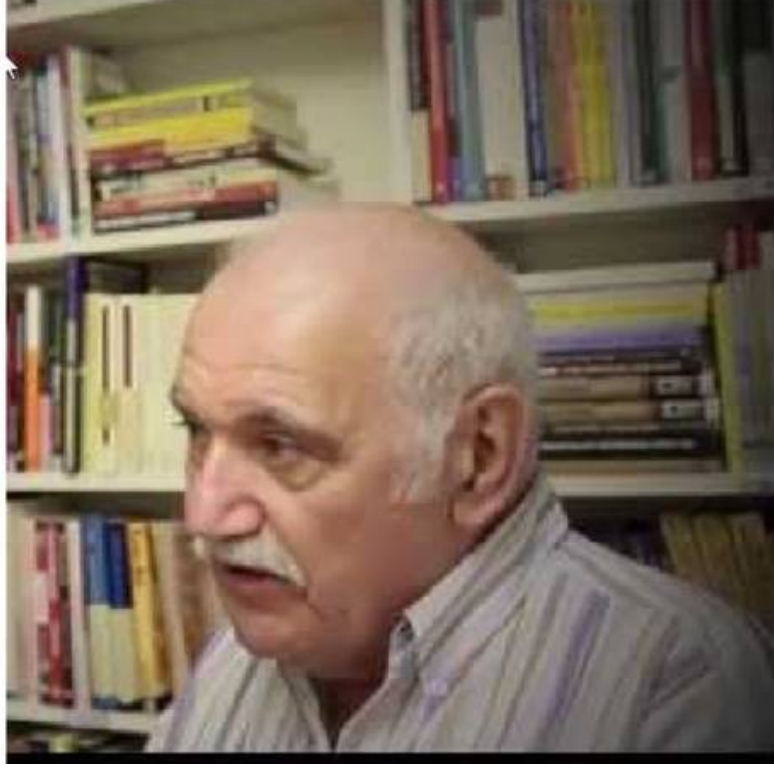


انحسار المدّ الوردي





عن المؤلف

تأليف: مايك غونزاليس

ترجمة وعرض: نضال إبراهيم

بعد أحداث مثل حرب المياه في كوتشابامبا (بوليفيا) وانتخاب هوغو تشافيز رئيساً في فنزويلا، أصبحت سياسات أمريكا اللاتينية على مدى العقدين الماضيين متطرفة، حيث كانت حكوماتها مليئة بالنشطاء السابقين والزعماء النقابيين. ومع ذلك، في السنوات القليلة الماضية، عانى اليسار في أمريكا اللاتينية العديد من النكسات والتحديات الرجعية، ما دفع الكثيرين إلى التساؤل عما إذا كان «المد الوردي» قد تراجع الآن.

في هذا الكتاب، يستكشف الكاتب الشهير مايك غونزاليس المسار الوعر لليسار في السياسة الأمريكية اللاتينية. فعلى الرغم من أن التطورات اليسارية في العشرين سنة الماضية قد احتفى بها النشطاء على نطاق واسع، إلا أن غونزاليس يحذرنا من النظر في المشكلات والصراعات التي نشأت خلال فترة ولايتهم أيضاً. من خلال المعاينة النقدية لأوجه فشل الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل وتشيلي والإكوادور وفنزويلا، يستطيع غونزاليس تحديد نقاط الضعف والقوة على حد سواء، واقتراح مسارات مستقبلية ممكنة لتجديد حق اليسار في الدول عبر أمريكا اللاتينية.

يقدم غونزاليس تحليلاً نقدياً لكنه متعاطف مع سجلات الحكومات اليسارية في جميع أنحاء القارة، وهو يقدم انعكاساً منعشاً على مستقبل السياسة الأمريكية اللاتينية ومستقبلها. يقع الكتاب في 256 صفحة من القطع المتوسط، وهو صادر عن مطبعة بلوتو (15 ديسمبر 2018)، باللغة الإنجليزية في ستة فصول - بعد المقدمة «الليبرالية الجديدة تحت الهجوم» - هي: من كاراكازو إلى تشافيز، بوليفيا تصعد، إيفو موراليس في السلطة، الإكوادور والمعركة لأجل ياسوني، فنزويلا: الانحدار والسقوط، على هوامش المد الوردي: المكسيك، البرازيل، والأرجنتين.

عن المدّ الورديّ

يقول الكاتب: «في الواقع، يبدو لي أن مصطلح «المد الوردي» له تأثير ساخر بالغ الأهمية. أول من ابتدعه في عام 2006 كان فرانك ليهير مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» في مونتيفيديو، في إشارة إلى حكومة تاباري فاسكويز في أوروغواي، وبأكثر من إشارة ساخرة إلى انتخاب الحكومات اليسارية في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية بوصفها مجرد ضجيج وانفعال، ولا تعني أي شيء. ونسبت ديان رابي هذه العبارة إلى هوغو تشافيز، وهو أمر خاطئ، لكن المقصود هو استثمار معنى أكثر إيجابية. الحقيقة هي أنه تم تبنيها بشكل عام كأداة تحليلية في مناقشة وتفسير تجربة «الحكومات اليسارية في أمريكا اللاتينية، والتي قد تثبت عدم جدواها».

تبدأ العملية بالإجماع المشترك بانتخاب هوغو تشافيز للرئاسة الفنزويلية في 1998. بالتأمل في تلك اللحظة من منظور عام 2018 نرى في ذلك تجربة محبطة. فقد توفي هوغو تشافيز في ظروف غريبة في عام 2013 ليخلفه نيكولاس مادورو، الذي أشرف على الانهيار الكارثي للاقتصاد الفنزويلي، بشكل لا يمكن إنكاره، وهي محاكاة ساخرة مثيرة للبؤس للمجتمع الذي وعدت به الثورة البوليفية. غادر رافاييل كوريا، وهو منتسب متأخر نسبياً إلى المشروع البوليفاري، رئاسة الإكوادور بعد أن تم انتخابه لها في عام 2007، وشجب العديد من الحركات الاجتماعية التي أوصلته إلى السلطة. تستمر بوليفيا في ظل حكومة يقودها إيفو موراليس، الشخصية التي تمثل المشروع البوليفاري مثل هوغو تشافيز نفسه.

في الأرجنتين، وعدت إدارتا نيسطور وكريستينا كيرشنر، وريثا الخلافة البيرونية بدءاً من عام 2003، بمشروع تقديمي في أعقاب الاحتجاجات الجماهيرية التي احتضنتها الأرجنتين في ديسمبر 2001. وانتهت بانتخابات 2015 التي أوصلت ماوريسيو ماكري إلى السلطة، المدافع الصارم عن استراتيجيات الليبرالية الجديدة التي يفرضها على البلاد بعزيمة لا «هوادة فيها».

وفي نيكاراغوا، مع اقتراب الذكرى الأربعين لثورة ساندينيسا في عام 1979، تطلق قوات الشرطة والجيش في «ساندينيسا الرصاص الحي على المتظاهرين المحتجين على سياسات التقشف التي فرضها دانييل أورتيغا، زعيم ثورة ساندينيسا الذي ظهر كحاكم مستبد وُلد من جديد

لم يكن هناك شيء مقرر أو حتمي عن هذه التطورات؛ ولم يكن هناك حركة بسيطة من المد والجزر. إن الفساد» والمركزية في السلطة التي رافقت هذه التطورات لا تعود إلى الطبيعة الإنسانية أو شخصية زعماء معينين. هناك ملامح عامة لكل تجربة وطنية؛ على رأسها العودة إلى الوراء نحو مفهوم الاستخراجية. هناك أيضاً عناصر تتعلق بالتاريخ الخاص بكل دولة ونشأتها. وفي كل حالة، الخصائص المميزة لبرجوازياتها، وتاريخ الصراع الطبقي ومظاهره العديدة والمختلفة، تتخللها مسائل العرق والتقاليد، والتناقضات الداخلية في اليسار، كلها عوامل متضافرة بطرق مختلفة. إذن من الأهمية بمكان تحديد هذه الخصائص، بالإضافة إلى تأثير القوى الخارجية ونفوذها، ولاسيما حكومة الولايات المتحدة ورأس المال متعدد الجنسيات، الفئة التي يجب أن تشمل اليوم الصين وروسيا كفاعلين ماديين في أمريكا اللاتينية. وبالتالي، يمكن لمفهوم «المد الوردي» أن يحدد أوضاع الإطار العام، لكن خصوصية كل تجربة بمفردها يمكن أن تسمح لنا بمناقشة كيفية التغلب على الظروف الحالية، ومواصلة عملية التحول الاجتماعي التي تميزت «خطواتها الأولى ببداية تدفق «المد الوردي

انعكاسات تاريخية

يشير الكاتب إلى أنه من البديهي أن نضع نصب أعيننا لحظة انتخاب تشافيز للرئاسة، أو ربما بشكل أكبر حرب كوتشابامبا للمياه التي دشت القرن الحادي والعشرين؛ كان الحدثان بمثابة نهاية وبداية أو على الأقل نقطة تحول في السياسة العالمية، على الرغم من أن ذلك لم يتضح إلا بعد الحدث

لقد كانت نهاية عقد بدأ مع انهيار الكتلة السوفييتية والزوال النهائي للمشروع الستاليني وكشف ما تبقى منه، والذي سيترتب على آثاره وانعكاساته صدى لما بعد عقد 1989. لم يكن كما زعم، فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، بل البداية غير المحددة والتمهيدية لتاريخ جديد ومختلف كانت أقطابه متعددة ولم يعد بالإمكان تعريفه، على الرغم من زيفه، في ظروف الحرب الباردة. كانت فترة التسعينات عقداً استمرت فيه الرأسمالية الواثقة الجديدة والقاسية في توسيع نطاق انتشارها عبر الكوكب تاركة الدمار أينما حلت. وقد شرعت الليبرالية الجديدة في فرض نموذجها على أمريكا اللاتينية، من خلال وكالاتها المالية - صندوق النقد الدولي على وجه الخصوص - ما أدى إلى تفويض الدول القومية والدخول «في دمج الاقتصادات الفردية في مشروع إقليمي ومن ثم عالمي في نهاية المطاف

كانت هجمة الليبرالية الجديدة مستترة بشكل مختلف وراء مفاهيم براقعة ك«التقشف»، «التكيف الهيكلي» و«برنامج» مكافحة الفقر». بالنسبة للمنطقة كانت المحصلة النهائية لعقد التسعينات أي عقد العولمة، هي زيادة هائلة في مستويات الفقر، تشريد الملايين، وإضعاف الدولة الوطنية، مع خصخصة الموارد العامة. شملت علامات الطريق على طول هذا المسار الجديد، الارتفاع الحضري الفنزويلي المعروف باسم «كاراكازو»، صفقة بيع الأصول الأرجنتينية من قبل الرئيس البيروني كارلوس منعم في عام 1990، الدولار في الاقتصاد الإكوادوري، وإعلان منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا) في عام 1994. والذي كان تدشينه الاحتفائي قد طغى عليه تمرد في ولاية تشياباس في جنوب المكسيك «(بقيادة جيش التحرير الوطني الزاباتيتي (إيزلن

تقدّم الليبرالية الجديدة

من الأهمية بمكان التأكيد على أن عقد التسعينات كان العقد الذي تم فيه التقدم المدمر لليبرالية الجديدة على طول المنطقة والذي قوبل بالمقاومة والاحتجاجات. والحكومات اليسارية لم تولد من فراغ، ولم تتشكل في أذهان بعض «الأفراد البارزين، ولا من قبل المتلاعبين في الحملات الانتخابية العالمية

اتسمت أول عملية فرض لسياسات التكيف الهيكلي بانتفاضة حضرية في جميع أنحاء فنزويلا بدأت في 23 فبراير 1989؛ عرفت بانتفاضة كاراكازو التي أزهقت فيها أرواح المئات على أيدي الدولة. والتي ينظر إليها على نطاق واسع كنقطة بدء العملية التي أوصلت تشايفيز إلى السلطة في عام 1998. وبعد عام في الإكوادور، قامت منظمات السكان الأصليين، وبعد صياغتهم أدوات جديدة للمقاومة، بتأسيس حركة الاتحاد الكونفدرالي للأمم السكان الأصليين في «الإكوادور(كوناي)، والتي أطلقت نهضة على مستوى البلاد

كانت ثورة زاباتستا واحتلالها» سان كريستوبال دي لاس كاساس»، عاصمة ولاية تشياباس، في عام 1994 تحدياً واضحاً وصريحاً لتشكيل «نافتا». وخلال المؤتمر الصحفي لرؤساء اتحاد «نافتا» الثلاثة (بيل كلنتون، كارلوس ساليناس دي غورتاري، وبرايين مالروني) حدث أن ألقى القبض على الصحفيين المجتمعين بغتة، بسبب الأحداث التي وقعت في تشياباس، وجهلهم على ما يبدو بالتاريخ الطويل للنزاع بين مجتمعات السكان الأصليين لغاية اللاكاندون ومصالح تربية المواشي القوية التي انتهكت أراضيهم وأنشطتهم الزراعية بشكل منهجي خلال العقد السابق.. ولكن على الرغم من الاختلاف الذي بدا عليهم، إلا أنهم كانوا بعيدين عن مدينة مكسيكو الحديثة، فقد كانوا الضحايا المباشرين والفوريين للتوسع العالمي الليبرالي الجديد، تماماً كما كان قاطنو الأحياء الفقيرة في كاراكاس، فكانوا يمثلون التطرف «في الواقع العالمي

معضلة اليسار

بالنسبة إلى اليسار، فإن المعضلة التي تطرح نفسها مألوفة للغاية حسب الكاتب، ويعلق: «مثلاً الرئيس البرازيلي الأسبق «لولا»، والمكسيكي أوبرادور مالا إلى تيار اليمين من أجل الوصول إلى السلطة، ولجأ الأخير إلى عقد تسويات مع قطاعات الأعمال وأعضاء الطبقات الحاكمة القديمة لتحقيق هذه الغاية. ومع ذلك، فإن سمعته السابقة كافية لخلق توقعات بين العمال والفقراء، معززة بالحرب الدعائية التي يشنها اليمين ضده، ومقارناته اللافتة للنظر مع تشايفيز، والتي تسبب له ضرراً قليلاً بين غالبية السكان. لكن المؤكد في الأمر هو أن ارتباطاته السابقة تشير إلى استمرار اتجاهه في الفكر الليبرالي الجديد، وبعض عناصر توفير الرعاية الحكومية. إن ما يمكننا افتراضه هو أنه لن يقدم استراتيجية بديلة لتحقيق مجتمع تسوده المساواة والعدالة الاقتصادية والاجتماعية. من ناحية أخرى، يرى ماسيمو مودونيسي الأمل في حملة أوبرادور الأخلاقية وتركيزه على النزاهة في النظام السياسي المكسيكي المشهور بالفساد. وينبغي تشجيع ذلك «ودعمه، ولكن ضمن الحدود الممكن توقعها والاستعدادات اللازمة لها

بالنسبة لخطابها المتطرف، كانت «حركة المد الوردي» عبارة عن الحركة التي تمت صياغة فكرها الاقتصادي من خلال النظرية التنموية أو ما يسمى أحياناً النظرية الإنتاجية، لقد ثبتت حدودها مرة أخرى، كما فعلت خلال فترة استبدال الواردات. والمستقبل سيطرح المشكلات نفسها مجدداً

هناك أفكار إبداعية وذات رؤية حاملة نشأت من أمريكا اللاتينية حتى في خضم أزمات اللحظة، لأشخاص مثل ألبرتو أكوستا في الإكوادور، ادغاردو لاندرو ورولاندي ديس في فنزويلا، ماريسفيلاستامبا في الأرجنتين، بابلو ستيفانوني في بوليفيا، راول زيبتيشي في أوروغواي. تقدم لنا هذه الأفكار نقاط انطلاق مهمة لنقاش جديد موجه نحو إيجاد حلول

للمستقبل المقبل. ولكن بالنسبة لنا جميعاً، يجب أن تكون نقطة البدء بمثابة تقييم دقيق وصحيح للواقع الحاضر. في هذا الصدد يوضح الخبير الاقتصادي الماركسي التوجه الفنزويلي الشاب مانويل سذرلاند هذه الفكرة جيداً كالتالي:

ينبغي على اليسار انتقاد «الحكومات التقدمية» بنفس الحكمة والبصيرة التي تنطبق على الأنظمة اليمينية المناهضة للطبقة العاملة. ليس ثمة ما يدعو لتجاهل المشكلات الناشئة في تلك البلدان، فبدلاً من ذلك، ينبغي على اليسار التعاون في بحث عاجل للتوصل إلى مقترحات ذات جدوى، وهذه تشمل تحليلاً موضوعياً للحكومات التقدمية وانتقادها، بأساليب التفاهم الجدلي. لأنه عندما تغرق السفينة فإن إنكار تعويض العطل والضرر؛ والذي يطال جميع من على متنها، «أمر لا يوجد له مبرر تحت مسميات التضامن ومناهضة الإمبريالية».

نبذة عن الكاتب

مايك غونزاليس (مواليد 1943) مؤرخ بريطاني. كان أستاذاً لدراسات أمريكا اللاتينية في قسم الدراسات الإسبانية في * جامعة غلاسكو. وقد كتب على نطاق واسع عن أمريكا اللاتينية، ولا سيما كوبا والثورة الكوبية لعام 1959. وهو عضو منذ فترة طويلة في حزب العمال الاشتراكي البريطاني، وهو أيضاً عضو في حركة التضامن الاشتراكي في اسكتلندا. له العديد من الأعمال منها: «كوبا وكاسترو والاشتراكية» مع بيتر بينز (1980)؛ نيكاراغوا: ثورة تحت الحصار (1985)؛ الثورة والثورة المضادة في تشيلي (1990)؛ بوليفيا: صوت الشعب (2005)؛ هوغو تشافيز: اشتراكي للقرن الحادي (والعشرين 2014).